

النحو والبلاغة في أصول التفسير: تأملات في مقتضيات النشأة وآفاق الاستثمار

إعداد

د. عدنان أجانة

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – كلميم

المغرب



المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأجمعين.

وبعد: فقد أسهمت علوم اللسان إسهاما كبيرا في المنهج التفسيري، ومثلت مدخلا أساسا من مداخله، إذ لا تخلوا ممارسة تفسيرية من اعتبارها والأخذ بمقتضاها والاحتكام إليها في تصحيح المعاني ومعرفة أنسابها، ومن أخص تلك العلوم؛ علم النحو والبلاغة، الذي يعد الأخذ بهما من آكد شروط المفسر، وأهم قوانين التفسير.[1]

وقد وظفت هذه العلوم في كتب التفاسير توظيفا متفاوتا، من متوسع فيها ومقتصر على بعضها ومقل منها، وهذا التوظيف تعرض له مجموعة من الأسئلة التي تنظر في طبيعته وحدوده وآفاقه، وهي أسئلة مبنية على مدى الكفاية الوصفية التي يقدمها كل من النحو والبلاغة للنص القرآني، وهل هي مستوعبة للظواهر البلاغية والنحوية في القرآن أم لا؟

وغير خاف أن ثمة مجموعة من العوامل المختلفة التي أسهمت في نشأة علم النحو والبلاغة، وهذه العوامل في أصلها مجموعة من التساؤلات المعرفية والإشكالات المنهجية التي تمخض عنها السياق المعرفي في تلك الفترة، وهذه العوامل الحافة بالنشأة وما انطوت عليه من إشكالات وأسئلة، تكشف عن مقاصد هذه الدراسة وغايتها، وتنبئ عن أهم الإشكالات التي صاحبت ميلاد هذه المعارف، وتضع الإطار العام الذي تتحرك فيه هذه المعرفة وتنمو.

والإشكالات المؤسسة للمعرفة إشكالات ذات طبيعة ممتدة وكامنة، ممتدة في أصول هذه المعرفة ومنهجها وتصورها، وكامنة فيها بالقوة، تمدها في كل عصر وحين بأسباب التجدد وعوامل الازدهار، ثم هي بعد ذلك إشكالات تتجدد في كل عصر منفتحة على ما يجد في عالم الناس من قضايا، ولم يختلف أهل العلم في كون النحو والبلاغة قد نشآ في رحاب القرآن الكريم، صونا لقارئه من وصمة اللحن، وضنا بكتاب الله عز وجل أن يقرأ على غير الوجه الذي أنزل به، ومدخلا لفهم دلالاته ومراميه على ما هي عليه في أصل وضعها واستعمالها.

1 - ينظر: مقدمة الزمخشري لكتابه الكشاف والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 213/4 وغيرها.



وهذه الإشكالات تجعل المعرفة اللغوية معنية بمقتضى نشأتها في إطار النص القرآني؛ أن تواكب ما جد من الدراسات في هذا الباب، وأن تمتح من إشكالاتها ومناهجها وتصوراتها ما عساه أن يسهم في تجديد النظر في هذه المعرفة اللغوية وتقويتها ودعمها؛ إسهاما تؤطره الاهتمامات المعرفية المعاصرة وينهضه سؤال التجديد وتشرف عليه مقاصد المعرفة الإسلامية المنتمية للخطاب القرآني وقضاياه.

كما أن هذه النشأة تؤسس لمشروعية المساءلة المنهجية، عن مدى وفاء هذه العلوم بمقتضيات هذه النشأة، ومدى كفايتها لأن ترصد القرآن الكريم في بعده النصي.

والسؤال الذي ينبني عليه هذا البحث، ويسعى للإجابة عنه، هو: هل كانت هذه العلوم اللغوية في الصورة التي انتهت إليها على يد المفسرين، مستجيبة لمقتضيات نشأتها ووفية بمطالبها ؟

وفي هذا الإطار يسعى البحث إلى النظر في وجه استثمار هذه العلوم في أصول التفسير وربط هذا الاستثمار بمقتضيات نشأتها وعوامل تأسيسها، ثم التساؤل عن مدى وفائها لهذا الانتماء، وغنائها فيما استثمرت فيه.

وإلى الله أنيب، وعليه أعتمد، في أن أقول في هذا قولا يسنده التوفيق، وتصححه النية الصادقة في خدمة كتابه وأهله.

- **نشأة النحو**

صاحب ظهور الدراسات النحوية إشكال ذيوع اللحن وانتشاره،[1] الذي بدأ يدب إلى العربية عند اتساع رقعة الإسلام وكثرة الداخلين فيه واختلاط ألسنتهم كما هو متعالم مشهور.[1]

1 - ينظر في هذا الموضوع: سبب وضع علم العربية للسيوطي ص 27 فما بعدها. والمدارس النحوية لشوقي ضيف ص 14 ومن تاريخ النحو العربي سعيد الأفغاني ص7 فما بعدها. ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص16 فما بعدها. قال فيه ص18: فالحق الذي لا ينبغي الحيود عنه أن وضع هذا العلم إنما كان لهذه الحوادث متضافرة. على أن بعض الروايات الواردة في نشأة النحو، تجعل اللحن في قراءة القرآن سببا في وضع النحو. ينظر سبب وضع علم العربية للحافظ السيوطي ص30 وللتوسع ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. للدكتور عبد العال سالم مكرم ص49.



وقد كان هذا الغرض النبيل مقصدا أمه أجيال من أهل العلم بالنحو، ونشطت بسببه الهمم في دراسة اللغة العربية، وضبط علومها والتفنن في بسط مادتها وموضوعها، مما كان نتاجه آلاف الكتب التي امتلأت بها خزائن المكتبات.

كما كان لهذا السبب أثر في اختيار مجال الدراسة الذي ستؤسس عليه القواعد النحوية، حيث تم تحديد مجال الدراسة في الكلام الفصيح المتمثل في القرآن الكريم والشعر العربي وما نقل من فصيح الكلام، وقد كان وجه التدبير أن يتم تصنيف هذا المجال وفق تراتبية تجعل الأفصح هو مورد القاعدة الأول، ثم يلي الأفصح ما بعده حتى ننتهي من وصف المجال المدروس كله.

لكن هذا لم يقع، وتم صرف العناية الأكبر على الشعر العربي، الذي "استبد بجهد النحاة، فركنوا إليه وعولوا عليه"[2] ولو نظرنا إلى شواهد الشعر في كتاب سيبويه، لوجدناها قد نيفت على الألف بخمسين، بينما بلغت شواهد القرآن عنده بلغت ثلاثمائة وثلاثة وسبعين شاهدا[3]، وهي على نحو الثلث من شواهد الشعر.

وقد حدد كتاب سيبويه مسار الدراسات اللغوية من بعده ورسم لها معالمها، فنسج النحاة على منواله ولم يخرجوا في الغالب عما قرره ونهجه.[4]

فصارت بذلك القواعد النحو قائمة على الشعر أكثر منها على القرآن الكريم، وتتبع النحويون الشواهد الشعرية ووسعوا من دائرتها حتى استشهدوا بأشعار لم يعرف قائلوها.

---

1 - و"الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية، كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها, فلقد نشأت دراسة اللغة العربية الفصحى علاجا لظاهرة كان يخشى منها على اللغة وعلى القرآن, وهي التي سموها ذيوع اللحن" اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص 11.

2 - دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة 2/1 وينظر أيضا: 6/1

3 - ينظر سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف ص 200. ودراسات لأسلوب القرآن الكريم لعضيمة 6/1. وثمة إحصاء آخر وقفت عليه وهو أربعمائة وستين شاهدا ينظر: الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه عرض وتوجيه وتوثيق. للدكتور محمد إبراهيم عبادة.

4 - لهذا " لم يكتب للدراسات اللغوية العربية أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري، فلقد كان كل جهد يبذل بعد ذلك القرن، إما في سبيل الشرح، وإما في سبيل التعليق، وإما في سبيل التحقيق والتصويب" ينظر اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص 11



وقد أثار صنيع النحويين انتقادا لكونهم عزفوا عن أصح متن لغوي وأفصحه وهو القرآن الكريم، وعدلوا عنه إلى الشعر وهو يعتريه ما يعتريه من الخطأ في الرواية والانتحال وجهالة القائل.

قال فخر الدين الرازي: "وكثيرا أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلا على صحته كان أولى"[1].

- مواضع القصور في النحو العربي:

وقد انبنى على هيمنة الشعر العربي على صياغة القاعدة النحوية، ضروب من القصور النحوي في معالجة النص القرآني، الذي يعد من أهم تجلياته ما يلي:

- فوات بعض الأساليب القرآنية، فلكثرة عنايتهم بالشعر واحتفالهم به، غَبِيَتْ عنهم مواضعُ من القرآن الكريم[2]. فمثلا، فعل يَدَع، اتفقت كلمة النحاة على أن فعله الماضي أميت، وقد قرئ في الشواذ، (ما وَدَعَك ربك وما قلى)[3]. قال ابن الطيب الفاسي عند قول صاحب القاموس في مادة ودع: "وقد أميت ماضيه" قلت: هي عبارة أئمة الصرف قاطبة وأكثر أهل اللغة، وينافيه ما يأتي بأثره من وقوعه في الشعر ووقوع القراءة فإذا ثبت وروده ولو قليلا فكيف يدعى فيه الإماتة.

---

1 - مفاتيح الغيب 401/9 وينظر كلام له قريب منه في 294/5 وفي 480/9 وقد أثيرت هذه المسألة قديما؛ وممن أجاب عنها ابن الأنباري حيث قال: "فأما ما ادعوه على النحويين من أنهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن فليس كذلك، إنما أرادوا أن يتبينوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال إنا جعلناه قرآنا عربيا. وقال بلسان عربي مبين" وإن كان كلام ابن الأنباري متوجها أكثر إلى علماء معاني القرآن والمفسرين. ينظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري 100/1

2 - ومن أمثلة هذا الفوات؛ قول ابن جني: "فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت، ما رأيته أنا في قولهم: "هذا حجر ضب خرب". فهذا يتناوله آخر عن أول، وتال عن ماض، على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز رد غيره إليه. وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفًا على ألف موضع. وذلك أنه على حذف المضاف لا غير. فإذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل" الخصائص 192/1

3 - ينظر المحتسب لابن جني: 364/2.



قال الزبيدي: وهذا بعينه نص الليث فإنه قال: وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر واستغنوا عنه بترك. والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وقد رويت عنه هذه الكلمة[1].

– تلحين القراء الذين خالفت قراءتهم ما تقرر في القواعد المبنية على الشعر، وهذا أثر بارز من أثر الهيمنة الشعرية على القاعدة النحوية[2].

ومن يقف على قول أئمة النحاة في القراءة وتلحين القراء ورد المتواتر من كلام الله تعالى، يقضي العجب من ذلك، فسيبويه والفراء والمازني وأبو علي الفارسي وابن جني وغيرهم من كبار النحويين، لهم كلام محفوظ في رد قراءات متواترة، أو شاذة لم تجر على رسم القواعد المخرجة على ما سمع من شعر العرب[3].

– قلة التمثيل للقاعدة النحوية من القرآن الكريم، حتى يظن الناظر أن القاعدة ليس لها إلا مثال واحد في القرآن، فلام العاقبة مثلا، وهي اللام التي يكون ما بعدها عاقبة لما قبلها ونتيجة له، لها مثال واحد في كتب النحو، وهي قوله سبحانه: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) 8/القصص، وفي القرآن أمثلة أخرى لها، كقوله سبحانه: (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله) 30/إبراهيم[4].

فعدم استقراء الأساليب القرآنية وتجهيل القراء وضمور التمثيل، أوجه متعددة ونتائج مختلفة، أسفر عنها استبداد الشعر بالدراسات النحوية، وغلبة مادته في تأصيل القواعد وضبط الكلام العربي.

وتأسس على هذا، قصور النظر االنحوي في الوفاء ببيان الكتاب وأساليبه، وتجلى هذا القصور في عدم استيعاب النحو لكل الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، فدراسة الزمن وتصاريفه وصيغه في القرآن الكريم أعم مما يذكره النحويون، وكثيرة هي الآيات التي أشكلت على المعربين في القرآن الكريم، ولم يجدوا لها مخارج

1 – تاج العروس مادة ودع 306/22

2 – ينظر وجه ذلك وأمثلته في كتاب: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 19/1 فما بعدها. "وليس معنى هذا أن نبخس الشيوخ الأوائل نصيبهم، من التفوق الهائل الذي يذهل العقول، ولكن معناه أن الأساس الذي أسسوه، في أزمنتهم المتطاولة كان ينقصه الحصر الدقيق لكل ما في القرآن الكريم" ينظر مقدمة الأستاذ محمود شاكر لكتاب: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ص (هـ)

3 – ينظر كلامهم في دراسات لأسلوب القرآن الكريم 44/1 فما بعدها.

4 – نص على أنها للعاقبة القرطبي في التفسير ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 365/9.



على ما تقتضيه الصناعة النحوية.[1] كما أنهم وضعوا قوانين نحوية لم يحتكم فيها لأسلوب القرآن، ومن ثم منعوا أساليب كثيرة جاء نظيرها في القرآن[2]. وعلى أساسها لحنوا طائفة من القراء، لكون قراءتهم لم تجر على رسم القواعد التي سطروها.[3]/[4].

كما أن النحو لم يستوعب البعد النصي الكامن في القرآن الكريم، وظل التمثيل النحوي مرتبطا بالمفردات والجمل، ولم توسع القاعدة النحوية لتشمل النص في كليته وشموله، وقد كان يمكن أن يوجه النظر إلى القرآن الكريم ويعمل فيه الفكر، ويستنبط منه قوانين نحوية جامعة، كما كان يمكن أن تكون ثمة عبارات ومصطلحات تصف التركيب الذي يفوق الجملة، كما "كان يمكن تأسيس النحو العربي على تقسيم آخر يراعي المعنى، ويأخذ في حسبانه وجوه الكلام والتعبير"[5]، لكن جرى الأمر على غير ذلك نظرا لشرائط الاشتغال المعرفي وللهموم المنهجية والإشكالات التي صاحبت فترة الميلاد، لذلك بقيت مباحث الإحالة والاتساق والانسجام، ومباحث السياق وبناء النص وغيرها؛ غفلا ينقصها التأطير المنهجي، والتقعيد

1 - كما في قوله تعالى: قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. 73-74/البقرة. قال الواحديّ وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية: "وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه إعرابا وتفسيرا، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولا يطّرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النّظم" ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه للعلامة محي الدين درويش 535/1

وكما في قوله: (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) قال محي الدين درويش: هذه الآية مشكلة جدا ويزداد الاشكال في قراءتنا وهي تشديد إن وتثقيل لما وقد اعترف المعربون القدامى بعجزهم فقال السمين ما نصه: « هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديما وحديثا وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجا. نفسه 4/ 436.

2 - دراسات لأسلوب القرآن الكريم 6/1 وقد ضرب لها أمثلة موضحة.

3 - للدكتور سلمان العايد مقال حول موقف النحاة المعاصرين من القراءات الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة نموذجا مراجعة وتقويم وهو منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي الأول للقراءات في موضوع: القراءات القرآنية في العالم الإسلامي أوضاع ومقاصد الذي نظمه مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرائية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء بمراكش. ص 321

4 - وقد قال أبو جعفر النحاس: "للفراء في كتابه -يعني معاني القرآن- أشياء كثيرة من الغلط ينظر: البحر المحيط لأبي حيان 375/8

5 - ينظر: الميسر في فقه اللغة المطور د محمد محمد يونس علي ص49



النحوي. مع الحاجة الماسة إليها عند التفسير[1].

وما يسجل على المادة النحوية التي انتهت إلى المفسرين، أنها أفادتهم في التراكيب الدنيا للنص القرآني من المفردات والجمل، ولم تفدهم في التراكيب العليا للنص، فلم يوفر النحو العربي قاعدة وصفية للمستويات العليا في النص، فالعلاقات بين السور وبين الآيات، وبين المعاني الجزئية والمعاني الكلية في النص، على المستوى اللفظي والمستوى الدلالي، مما نجد بعض أمثلته في كتب المناسبات، لا نجد لها وصفا جامعا، يرصد علاقاتها، ويوضح تعالقاتها، ويضعها في إطار منهجي مضبوط.

- **نشأة البلاغة:**

وأما البلاغة فقد كان جمع مادتها وتنسيق مباحثها المتناثرة في كتب السابقين على يد الإمام الجرجاني، الذي افترع بكتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، منهجا جديدا وبابا من أبواب النظر في البلاغة، وقد كانت مباحث إعجاز القرآن مدخلا للنظر في البلاغة، وسببا باعثا على تدقيق النظر في مباحثها وفصولها، وتسمية الجرجاني لكتابه بدلائل الإعجاز، مفصح عن مكانة الإعجاز في الدراسة البلاغية، وأنه يقع منها موقع السبب الباعث والإشكال المؤطر، وقد فزع الجرجاني في كتابه إلى علم رجلين، كان لهما أكبر الأثر في منهج الشيخ وتفكيره وإبداعه، وهما أبو عمرو الجاحظ وسيبويه.[2]

وقد كان ما كتبه سيبويه من المباحث النحوية بسبيل من حديثه عن المعاني النحوية، التي ينتظم بها شمل الكلام، وقد حاز كل من الخليل وسيبويه قصب السبق في المعاني النحوية.[3] وعمله هذا هو الذي دل الجرجاني على ما كتبه حول النظم، إذ "مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه"[4].

والبلاغة امتداد للنحو وتتميم له، وهو لها كالناسب الذي ينميها إلى أصولها، ويبين فاضلها من

1 - يشار هنا إلى الدراسات اللسانية المنجزة في إطار علم النص وتحليل الخطاب، قد استشرفت آفاقا علمية واعدة، من خلال اقتراحها لمجموعة من المصطلحات والخطوات المنهجية في وصف النص وصفا نحويا يقوم على رصد أنماط العلاقات التي تتفاعل داخل فقرات النص ومكوناته، وهو ما ينبغي الاستفادة منه عند دراسة النحو القرآني.

2 - ينظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد محمد أبو موسى ص 34.

3 - دلائل الإعجاز للجرجاني طبعة شاكر ص606.

4 - دلائل الإعجاز للجرجاني ص 87. وهذا المعنى قرره الجرجاني في مواضع من كتابه.



مفضولها[1]. وقد جاء الجرجاني ليعيد تصحيح المسار الذي بدأه سيبويه، ولينبه إلى أن النحو في الأصل، مرتبط بالتركيب ارتباطه بالمفردات، فكان عمله تتميما لما بدأه سيبويه.

وقد عالج الجرجاني في كتابه ظواهر بلاغية في القرآن، ومثل لها وأبان عن وجهها، وفصل القول في الحذف والفصل والوصل وكيفية انبناء المعاني في النظم، وغير ذلك من الأصول البلاغية العامة، التي استشرف بها من بلاغة القرآن روضا أنفا، ونبه من جاء بعده على طريق النظر في بلاغة القرآن، وسبيل الكشف عنها.

ثم تلا الشيخ الجرجاني جار الله الزمخشري، فطبق كثيرا مما قرره الجرجاني وأضاف إليه أصولا بلاغية هامة، لم يعرض لها عبد القاهر ونمى كثيرا من الأصول السابقة وحرر كثيرا من المسائل[2].

والعمل الذي قام به الزمخشري رحمه الله هو تنزيل ما ذكره الجرجاني من مسائل البلاغة، تنزيلا صاحبه تذوق عميق لأسرار البيان القرآني، ومعرفة واسعة بضروب البيان العربي، ووعي كبير بالقيمة البلاغية الكامنة في النص القرآني، من أصغر وحداته إلى أكبرها، بهذه العدة، وبهذا العقل الواعي، استشرف الإمام الزمخشري مواضع أنفا، وحلق في أجواء البلاغة القرآنية بعيدا عاليا.

ثم إن الزمخشري رحمه الله كان نهاية مرحلة متميزة في الدراسة البلاغية، ومثَّلَ عملُه الامتدادَ الحقَّ لدراسة عبد القاهر الجرجاني، ولو قُدِّر لهذا الاتجاه أن تتواصل حلقاته، لكان بين أيدينا منه الخير الكثير[3]. وبعد كتاب الكشاف انقطع في درس البلاغة هذا الاتجاه تماما[4].

والزمخشري رحمه الله عندما أنس ببلاغة القرآن ولهج بها، اطمأن إلى أصل عظيم من أصول النظر البلاغي في القرآن، فقال في ذلك كلمة جامعة، تدل على أن التوصيف البلاغي للقرآن الكريم هو توصيف قاصر لم يستوف كل الظواهر البلاغية، فقال رحمه الله:"ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه"[5].

---

1 - نفسه ص 8 و قال السكاكي في مطلع كتابه مفتاح العلوم: "وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان" مفتاح العلوم للسكاكي ص 6

2 - نفسه ص 5

3 - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور محمد أبو موسى ص 5

4 - نفسه ص 6

5 - الكشاف للزمخشري 142/1



– مواضع القصور في البلاغة العربية

لكن الذي حدث في تاريخ البلاغة هو أن ابن الخطيب الرازي عندما ألف كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لخص فيه من كلام عبد القاهر أشياء وترك منه أشياء، ثم جاء السكاكي وأخذ من كلام الرازي وترك ولخص كلام الأصحاب، وعلى هذه الملخصات ضبطت معاقد هذا العلم، ثم مضت الدراسة البلاغية على ذلك، وصار هذا المجرى الذي شَقُّوهُ في قلب تراث الشيخ عبد القاهر الجرجاني هو نَهرَ الدراسة البلاغية والذي دارت عليه الشروح والحواشي والتقارير، وبجانب هذا جرت نهيرات مثل ابن الأثير والعلوي وابن أبي الأصبع وغيرهم، وظهور هذه الدراسات التي لم تلتزم بأبواب ومقررات الرازي والسكاكي يؤكد أن تحديد مساحة الدراسة البلاغية قابل للمراجعة.[1] لأن معنى البلاغة عند الشيخ عبد القاهر؛ هو كل دراسة تستخرج أسرار البيان، "وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"[2].

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ عبد القاهر؛ لا تستوعبه علوم البلاغة الثلاثة بأبوابها المعروفة، بل ويجب أن يظل مفتوحا لكل ما يهتدي إليه أصحاب المواهب، من ضروب في صيغة الكلام وأسراره يفضل به بعض القائلين بعضا.[3]

وقد عكف الناس على كتاب السكاكي واختصروه وصار مختصر الخطيب وما كتب حوله من الحواشي عنوان البلاغة ومادتها، وتنوسي إلا قليلا ما كتبه الشيخ عبد القاهر الجرجاني. وقد كان مشروع الجرجاني كمشروع سيبويه، جاء من بعده، فاقتصر على بعض مطالبه، ولخص فصوله تلخيصا.

والمادة البلاغية التي قدمتها كتب البلاغة؛ فيها قصور مأتاه من كونها غير شاملة لجميع الظواهر البلاغية في القرآن الكريم، ويكفي أن يقارن ما ذكرته كتب البلاغة، بما أنجزه الإمام الزمخشري في تطبيقه الفريد للبلاغة على القرآن الكريم، ليعلم البون الكبير بينهما.

ولو استمر النظر البلاغي فيه على ما أصله الجرجاني والزمخشري، وأن يبقى لهجا بالقرآن الكريم،

1 – مدخل إلى كتابي عبد القاهر للدكتور محمد محمد أبو موسى ص11

2 – دلائل الإعجاز للجرجاني ص43

3 – ينظر مدخل إلى كتابي عبد القاهر للدكتور محمد محمد أبو موسى ص12



مرتبطا به، منعما النظر في تراكيبه وأوضاعه وأساليبه، لاتفق له أن يستخرج من فنون البلاغة وضروب البيان، ما يؤسس لعلم خاص يدرج ضمن علوم القرآن، وهو علم بلاغة القرآن.

وقد اعترى الدرس البلاغي المختصر، قصور واختلال، لم يتأت معه استشراف الظواهر البلاغية في القرآن على الوجه الذي يرغب فيه، ويظهر ذلك في قصور الأمثلة وتكرارها، وتضخم المصطلحات واختلافها[1]، وقصر النظر البلاغي على الفنون الثلاثة، وتقديم التقعيد النظري المنهجي على التوظيف الجمالي الذوقي، مما أدى إلى جعل البلاغة علما همه الضبط والتقعيد، وليس الكشف عن مناحي الجمال في نظم الكلم.

ففن البديع مثلا، تضخمت مصطلحاته بطريقة عز معها ضبط أنواعه وحصر تجلياته، ولو رام الناظر في القرآن تطبيق الفنون البديعية على النص القرآني، لأعياه ذلك بسبب تداخلها وتعددها وانفراط عقد نظامها.[2]

- **النحو والبلاغة بين النظر والتطبيق**

يمكن للناظر في النحو والبلاغة ومسارها في التراث العربي، أن يفرق بين مسارين كبيرين:

1- مسار نظري، اهتم بتجريد القواعد اللغوية والظواهر الأسلوبية المبثوثة في القرآن الكريم وفي كلام العرب، وخصوصا في الشعر العربي الذي يمثل المادة الكبيرة للقواعد اللغوية، وفي هذا المستوى عني النحويون والبلاغيون بالبعد النظري المنهجي، عند معالجتهم للمادة العلمية، وعناهم أمر التقعيد والضبط والتمثيل والتعليل، وقدموا بعملهم هذا مادة علمية جاهزة، تتوفر على مقومات التناسق العلمي والضبط المنهجي مما يجعلها قابلة للتطبيق.

2- مسار تطبيقي عملي، اهتم بتنزيل تلك القواعد على القرآن الكريم وعلى الأشعار العربية، وعلى شروح المتون، فكانت المادة النحوية والبلاغية على ما هي عليه في الكتب النظرية، مستحضرة أثناء التطبيق، مفزوعا إليها في التحليل والاستنباط، وهذا نجده بينا واضحا في كتب التفسير وشروح الحديث وفي كتب

1 - ينظر المقال الماتع: المصطلح البديعي قضية ونموذج للدكتور عبد الرزاق الصالحي منشور في دراسات مصطلحية العدد السابع 2008م.

2 - ينظر البحث الذي انجزه الدكتور عبد الرزاق صالحي حول هذا، وعنوانه: المصطلح البديعي قضية ونموذج. دراسات مصطلحية العدد السابع 2008م.



الأدب وشرح الشعر وفيما كتب من الحواشي والشروح على المتون العلمية.

وهذا المسار التطبيقي نجده أكثر غنى وأرحب توظيفا خصوصا فيما تم إنجازه في دائرة القرآن الكريم، من كتب توجيه القراءات متواترها وشاذها، ومن كتب علوم القرآن والتفسير وكتب إعراب القرآن، التي تقوم أساسا على "إجراء الألفاظ المركبة على ما تقتضيه صناعة العربية"[1]، ولا غرو أن القراءات القرآنية، وما أثير حولها من توجيه وتخريج، قد أثرت كتب النحو كثيرا.[2] والقراء أنفسهم كانوا نحاة، وكانوا عند اختيارهم للقراءة، يخالفون أحيانا مذهبهم النحوي، إلى القراءة التي هي سنة متبعة.[3]

والمفسرون عندما انتهى إليهم النحو على ما قرره النحاة، استثمروا قواعده في تفسير كتاب الله تعالى وأبدعوا في توظيفه، وأبانوا عن طواعيته ومرونته من خلال تطبيقاتهم الكثيرة، التي بلغت أوجها في كتب إعراب القرآن الكريم التي تمثل تطبيقا غنيا للمادة النحوية والتي تجاوزوا بها ضيق العبارة النحوية وحدودها إلى سعة النظر وانفتاح التوجيه، فقد أُعرب القرآن كله كلمة كلمة، وهذا الإعراب الشامل للقرآن الكريم، أتاح للمفسرين مجالا للقول وميدانا خصبا للتطبيق، والناظر في كتب إعراب القرآن يقف على تراث كبير، لا زال محتاجا إلى استخراج أصوله وتبويب مسائله.

وكذلك الشأن في البلاغة، فإن المفسرين وظفوا البلاغة في التفسير على تفاوت فيما بينهم، مستثمرين ما انتهى إليهم من كلام الشيخ عبد القاهر وغيره من أعلام البلاغة، والعلم البارز بين المفسرين، هو جار الله الزمخشري، الذي نهج بكتابه ضربا من التفسير البلاغي صار به إماما لا يشق غباره، وقد اشترط في كتابه لمن ينظر في التفسير أن يبرع "في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان"[4] وجعله هذين العلمين مختصين بالقرآن، هو رجع بهذه المادة إلى رحابها وعطف لها على نصابها.

وقد درس الدكتور محمد أبو موسى المنحى البلاغي عند الزمخشري في كشافه، فأبان عن تراث بلاغي أصيل تجاوز حدود البلاغة المرسومة، إلى آفاق أرحب من النظر البلاغي المنفتح وأبان في كتابه عن جمل من

1 - علم إعراب القرآن تأصيل وبيان للدكتور يوسف بن خلف العيساوي. ص27 نقلا عن تحفة الغريب للدماميني.

2 - ينظر: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية. للدكتور عبد العال سالم مكرم ص 64.

3 - قال الزركشي في البرهان: "وأما الوقف فأبو عمرو ويعقوب يقفان على الكاف على موافقة مذهب الكوفيين والكسائي يقف على الياء وهو مذهب البصريين وهذا يدل على أنهم لم يأخذوا قراءتهم من نحوهم وإنما أخذوها نقلا وإن خالف مذهبهم في النحو" البرهان في علوم القرآن للزركشي 444/4

4 - الكشاف للزمخشري 43/1



الأصول البلاغية، التي اهتدى إلى النظر فيها الزمخشري رحمه الله[1].

وما فعله الزمخشري، هو أنه عكف على القرآن الكريم مستنطقا لأساليبه، متذوقا لبيانه، مقارنا بين معانيه، مستخرجا من ذلك العجب العجاب، وقد اعتنى ببيان البعد النصي للقرآن، وحاول أن يمد رواق البلاغة على القرآن الكريم مفردات وجملا ونصا، واستحضاره لهذا البعد، أثمر له عملا بلاغيا رائعا.

ومن الأصول الهامة التي نبه عليها الزمخشري في كشافه[2]:

– دراسة المعاني والقول في صحتها وتناقضها وأنواعها وأجناسها وتآخيها وتناسبها ومحاولة الكشف عن الأسس التي سار عليها نسق الجمل والآيات، وكيف تترابط وتتوحد حتى كأن بعضها يأخذ بحجز بعض.

– نظرته الشاملة للنص القرآني، وخروجه عن دائرة الجملة، فقد كان بعد الدراسة التحليلية للجمل وبيان ترتيب معانيها وتناسقها، ينظر نظرة أوسع يصف النص، ويشير إلى بعض الظواهر الفنية في الأسلوب يراها من مكامن القوة والتأثير.

– دراسته لكيفية انبناء المعنى، أو بعبارة الدكتور محمد أبو موسى، للنمو الموحد، فيحدثنا عن نمو الفكرة وتصاعدها والمعاني التي يتولد بعضها من بعض، ويهيئ بعضها لبعض حتى كأن السابق منها بساط للاحقه، ووطاء لذكره.

والدعوة الآن متجهة لأن تتصل أسباب الدرس البلاغي بما كتبه الزمخشري وقبله الجرجاني، وأن يكمل ما بدأه الشيخان، من خلال لم شعث المباحث البلاغية المنثورة في كتب التفسير، وضم مسائلها، وتجريد أصولها، ووضع أبوابها.

وما تم إنجازه في إطار القرآن الكريم من التطبيقات النحوية والبلاغية، هو مادة ضخمة، تحتاج لمراجعة وترتيب، وتأصيل وتبويب، وهي قابلة للتنسيق والتأصيل، ويمكن أن يستخرج منها قواعد نحوية وبلاغية لم يتعرض لها النحاة ولا البلاغيون.

---

1 – ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور محمد أبو موسى ص12.

2 – تنظر هذه الأصول في كتاب: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور محمد أبو موسى ص12.



ولو اتجه الدرس النحوي المعاصر إلى ما أنجز في كتب التفسير، وتم تجميع ما اقترحه المفسرون في النحو من وجوه الإعراب، وأنواع الإحالات، وضروب الربط والتعلق، وكيف خرجوا المعنى على الإعراب، وربطوا الإحالة بين الآيات، ونبهوا على مرجعية الإشارة والعطف، وكيف ربطوا ذلك بسياق نصي يتجاوز الآيات، لأغنوا بذلك الدرس النحوي.

وكذلك الشأن في البلاغة، ففي تفسير الزمخشري وغيره نظرات دقيقة في البلاغة، وتوجيهات ما أحراها بالجمع والتنسيق والتأصيل، وهي تزيد على ما ذكره الجرجاني وقد قال الزمخشري رحمه الله في هذا السياق: "ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه"[1]

المدخل الثاني: آفاق الاستثمار

ينبني على ما سلف من القول؛ أنه قد بقي فضل نظر فيما آل إليه استثمار النحو والبلاغة في كتب التفسير، وأن المشروع النحوي والبلاغي في كتب التفسير وإعراب القرآن وتوجيه القراءات لم يتم استثماره من الناحية النظرية في بناء أصول التفسير، على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه، والدعوة الآن متوجهة إلى إعادة ضبط هذا المدخل اللغوي وتأطير مباحثه ومسائله، بما يتلاءم ومقاصد أصول التفسير.

- **المقترحات:**

وإذ قد وصل البحث إلى هذا الموضع، فإن النظر يقتضي مجموعة من الاقتراحات، يمكن الاستئناس بها عند الحديث عن العلوم اللغوية في أصول التفسير، وهذه المقترحات في مجموعها هي دعوة إلى تنسيق المادة النحوية والبلاغية المنثورة في كتب التفسير وكتب الأعاريب والتوجيه، وكتب الدراسات التي عنيت بنحو القرآن وعلم النص، تنسيقا يراعي متطلبات الضبط النظري والتقعيد المنهجي والتدقيق المصطلحي والأفق النصي.

1 - الكشاف للزمخشري 142/1



ومن الأصول العامة التي ينبغي الأخذ بها[1]:

- **توسيع الجهاز النظري.**

وذلك أن تنزيل النحو كلِّه على آيات القرآن الكريم، يوجب فضل نظر عند التطبيق يكون متجاوزا لما ذكر باب التنظير، لأن الجهاز النظري الذي يتمثله النحاة عن الظواهر اللغوية يقعد بخياراته عن توجيه بعض الآي وإعرابها، وترد عليه إشكالات ليس في قوة الصناعة النحوية أن تنفصل عنه، لذلك لم ير المعربون ضيرا من أن يوسعوا دائرة الاستمداد النظري، حيث أدرجوا مجموع ما انتهى إليهم من نحو البصرة والكوفة وبغداد، في تصور نظري موحد، يستحضر مجموع ما قيل في النحو العربي، ومن ثم نجد المعربين يوصلون الوجه الإعرابي للآية إلى ما يفوق العشرة أحيانا، وصنيع المعربين هذا يقتضي أن النحو العربي هو مجموع ما انتهى إلينا من الدرس النحوي الذي نقل عن مجموع المدرستين ومن جاء بعدهم[2].

وهذا التطبيق، ينبغي أن يواكبه إطار نظري مناسب له، يمده بما يلزم من التأطير المنهجي والضبط المصطلحي، وتوسيع الجهاز النظري يقتضي وصل المعرفة النحوية والبلاغية في التراث العربي، بما جد في زمان الناس هذا من قضايا وإشكالات ومصطلحات، تكون واصفة لعمل المفسرين والمعربين، مشخصة للعلاقات النحوية في النص التي تتجاوز المفردات والجملة.

- **تنويع الأمثلة للقاعدة الواحدة.**

وهذا الأصل يقتضي أن تكون الأمثلة القرآنية على طرف لسان النحوي والبلاغي، وأن يتم إدراج التوجيهات النحوية، والنكت البلاغية المقترحة في كتب التفاسير، داخل المنظومة النحوية والبلاغية، ليغتني بذلك رصيد النحوي ولتثبت القاعدة، والأمثلة إذا تعددت أغنت القاعدة وعرف منها أسلوب القرآن الكريم، وأمكن عندها أن نعرف مدى استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب أو ذاك، وأيها الغالب عليه؟ ومتى يرد هذا الأسلوب؟ إلى غير ذلك من ضروب النظر التي يمكن تأسيسها على أمثلة القرآن الكريم. كما أن ربط القاعدة بالمثال، والتأكيد على ضرورة التمثيل القرآني، سيفضي إلى ضبط المراتب بين القاعدة والمثال، فيكون المثال هو الأصل، والقاعدة فرع عنه، لا كما يوهمه صنيع النحاة.

---

1 - هذه الأصول، بعضها منصوص عليه في كتب الأعاريب والتفسير، وبعضها الآخر مما يقتضيه الاستنتاج والنظر.

2 - قال أبو حيان في توجيه قوله تعالى: إن هذان لساحران، "والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائما" ينظر البحر المحيط في التفسير 350/7



- **تمديد مجال الدراسة النحوية والبلاغية لتشمل القرآن الكريم في بعده النصي.**

لم تعن كتب النحو بعد استقرار قواعدها بتطوير المادة النحوية على وفق ما هو عند المعربين والمفسرين، ومن ثم فإن الفكرة التي يسعى إلى اقتراحها هذا البحث، هي تمديد مجال الناظر النحوي وتوسيع إطاره النظري ليشمل القرآن الكريم في بعده النصي، فالنحو كما انتهى إلى المفسرين، يدرس التراكيب الدنيا للنص من الجملة ومكوناتها، أما التراكيب العليا التي تشمل السور وعلاقات بعضها مع بعض، والآيات داخل السورة والعلاقات داخل السورة الواحدة وما يترتب على ذلك من ضروب العطف وأنواع الإحالة ومباحث الاتساق والانسجام، فلا تزال تحتاج إلى ضبط منهجي وتأطير نظري، يضطلع بمهمة وصف هذه المستويات والعلاقات، وهذا يقتضي أيضا وضع مصطلحات واصفة لمستويات التركيب العليا، تتضمن العلاقات بين الفقرات وبين السور على نحو ما وضع بين الجمل من الاستئناف والتعليل والتوكيد غير ذلك.

والذي يقترحه البحث، أن يتجه النظر النحوي إلى هذه الطرائق من النظم، ويصف علاقاتها كما وصف العلاقات بين المفردات، وسماها بالفاعلية والمفعولية، وكما سمى الجمل التفسيرية والاعتراضية وجملة الصلة ونحوها. فيسمي العلاقات الكامنة بين أجزاء النص الكبرى بأسماء تحدد تلك العلاقة وتكون أعون للمفسر على معرفة كيفية بناء المعنى في السورة من خلال تتبع مراحله وأجزائه، ومن القواعد التي تداولها المعربون في هذا الباب؛ قولهم: القرآن يفسر بعضه بعضا، والقرآن كالكلمة الواحدة.[1]

- **تعديل بعض المصطلحات النحوية والبلاغية بما يتلاءم مع خصوصية القرآن الكريم[2].**

تحرير المصطلح النحوي والبلاغي، وتحقيق مناطه، كل ذلك بسبيل من ضبط معاقد النحو والبلاغة في القرآن الكريم، ولما كان الجهاز النحوي واصفا لمجموع الكلام العربي، وكانت القواعد التي سطروها بني أغلبها على شعر العرب وفصيح كلامهم، فإنه جرت على لسانهم عبارات، لا يتأتى وقوعها في القرآن، مثل: بدل الغلط وحروف الزيادة ونحو ذلك. وكذلك السجع والتورية عند من يقول بخلو القرآن منه.

1 - القرآن كالكلمة الواحدة، احتج بهذه القاعدة، طائفة من معربي القرآن الكريم، قال ابن النحاس: "القرآن كلّه بمنزلة سورة واحدة، وعلى هذا نظمه ورصفه وتأليفه". ينظر إعراب القرآن لابن النحاس 51/5 و165/5 وينظر أيضا الدر المصون للسمين الحلبي 638/10. ومغني اللبيب لابن هشام ص328

2 - وقد عاب ابن مالك رحمه الله في بعض كتبه هذه العبارة على النحويين لأنّ الكلية لا تصح في مثل {صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. اللهِ} 1-2/إبراهيم. فإنها إنما تقال فيما ينقسم ويتجزئ، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، فالأولى أن يقال فيه البدل الموافق أو المطابق. ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 131/1



وكذلك الشأن في البلاغة، فإن المصطلح فيها بحاجة إلى تهذيب ما هو موجود، ووضع ما لم يوجد من المناحي البلاغية التي يسفر عنها النظر في القرآن الكريم.

وهذه الاقتراحات الأربعة، تؤول إلى أصل واحد كبير، وهو ضرورة تهذيب التراث النحوي والبلاغي، ووصله بما جد فيه من أنظار وتحقيقات، وإعادة تأسيسه على القرآن الكريم، وترتيب مداخله وأوضاعه، ليكون أنفع للمفسر وأعود عليه بالفائدة.

وهذا المشروع النحوي والبلاغي له روافد مهمة وغنية، ومن أهم هذه الروافد:

- الكتب التي عنيت بإعراب القرآن وتفسيره وتوجيه قراءاته، وما يندرج في فلكها من كتب علوم القرآن ونحوها.
- المشاريع الفردية والجهود الخاصة التي نجدها عند بعض النحاة واللاغيين أمثال الزمخشري وأبي حيان والسمين الحلبي وابن هشام وكما نجده فيما أنجزه المتأخرون من أمثال الطاهر بن عاشور وعبد الخالق عضيمة، وتمام حسان وفاضل السامرائي، وما تم إنجازه فيما كتب عن النحو القرآني،[1] وما يتصل بذلك. وقد اشتملت هذه الدراسات على نظرات دقيقة، وإضافات قيمة تغني الدرس النحوي والبلاغي في القرآن.
- الدراسات المنجزة في إطار ما يعرف بعلم النص وتحليل الخطاب، وفي إطار البلاغة والدرس الأدبي، وهي تسهم من حيث إشكالاتها وتصوراتها ومناهجها في وضع تصور منهجي واع.

هذه الروافد الثلاثة، تتكامل فيما بينها مشكلة نواة للدرس النحوي والبلاغي في القرآن الكريم، وهي تمثل مادة خصبة، وميدانا أنفا، يمكن تأطيرها بمشروع لغوي أصيل، من شأنه أن يسهم في تجديد النظر في هذه المعرفة اللغوية، إسهاما تؤطره الاهتمامات المعرفية المعاصرة وينهضه سؤال التجديد، وتشرف عليه مقاصد المعرفة الإسلامية المنتمية للخطاب القرآني وقضاياه.

---

1 - من أهم من الكتب فيه:

- نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، للدكتور أحمد مكي الأنصاري
- نحو القرآن للدكتور أحمد عبد الستار الجواري.
- النحو القرآني قواعد وشواهد، للدكتور جميل أحمد ظفر.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص للدكتورة هناء محمود إسماعيل. وغيرهم.



وختاما فإن هذه بعض المقترحات والأفكار، اقتضاها النظر في نشأة النحو والبلاغة وآفاق استثمارها، وعسى أن يكون فيها جدة وطرافة، مما لعله يسهم في الضبط المنهجي، لهذا المدخل الأساس من مداخل أصول التفسير.

والله أسأل التوفيق والسداد. والحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن تأليف جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م
2. أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية. تأليف الدكتور عبد العال سالم مكرم نشر وتوزيع مؤسسة علي جراح الصباح
3. إعراب القرآن تأليف أبي جعفر النحاس تحقيق د. زهير غازي زاهد الناشر عالم الكتب بيروت سنة النشر 1409هـ- 1988م
4. إعراب القرآن وبيانه تأليف محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية الطبعة: الرابعة، 1415 هـ
5. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. 1390هـ/ 1971م
6. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الغرناطي تحقيق صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: 1420 هـ
7. البرهان في علوم القرآن تأليف بدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات)
8. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور محمد أبو موسى دار الفكر العربي
9. تاج العروس من جواهر القاموس تأليف مرتضى الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية
10. الجامع لأحكام القرآن تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م
11. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. تأليف شهاب الدين الخفاجي. دار النشر: دار صادر - بيروت



12. الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي تحقيق: محمد علي النجار الناشر: عالم الكتب – بيروت
13. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف السمين الحلبي تحقيق أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق
14. دراسات لأسلوب القرآن الكريم تأليف الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة طبعة دار الحديث- القاهرة.
15. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم الزمخشري تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
16. اللغة العربية معناها ومبناها تأليف الدكتور تمام حسان الناشر: عالم الكتب الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م
17. المدارس النحوية تأليف الدكتور أحمد شوقي ضيف الناشر: دار المعارف
18. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني تأليف محمد أبو موسى مكتبة وهبة للطباعة والنشر الطبعة الثانية 2010م
19. من تاريخ النحو العربي تأليف سعيد الأفغاني الناشر: مكتبة الفلاح
20. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تأليف جمال الدين ابن هشام الأنصاري تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة السادسة 1985
21. مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ
22. مفتاح العلوم تأليف أبي يعقوب السكاكي ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م
23. الميسر في فقه اللغة المطور تأليف محمد محمد يونس علي الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت 2009
24. نحو القرآن تأليف أحمد عبد الستار الجواري مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد 1974م.
25. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة تأليف الشيخ محمد الطنطاوي تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الناشر: مكتبة إحياء التراث الإسلامي الطبعة: الأولى 2005م-1426هـ
26. الضروري في صناعة النحو تأليف أبي الوليد ابن رشد تحقيق ودراسة منصور علي عبد السميع دار الصحوة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010م.



27. علم إعراب القرآن تأصيل وبيان تأليف الدكتور يوسف بن خلف العيساوي دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1428هـ/ 2007م.

28. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. للدكتور عبد العال سالم مكرم مؤسسة علي جراح الصباح الطبعة الثانية 1978م.

29. سبب وضع علم العربية تأليف الجلال السيوطي تحقيق مروان العطية نشرة دار الهجرة دمشق الطبعة الأولى سنة 1988م

30. الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه عرض وتوجيه وتوثيق تأليف الأستاذ محمد إبراهيم عبادة مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع (2002)